سِیْرَۃُ

خَاتَمِ النَّبِیِّیْن ﷺ

سِيرَةُ
خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ

للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

First edition: 1923.
This edition 2024.

TYPESETTING AND BOOK DESIGN:
www.enhancedesigns.co.uk
info@enhancedesigns.co.uk

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمْهِيْد

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّين.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَكْبَرَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الكَلِمَاتِ)، وَأَبْلَغَ بَيَانٍ يَقْصُرَانِ عَنْ إِيْمَاءِ حَقِّ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَعَنِ التَّعْبِيرِ عَنِ السُّرُورِ الَّذِي يَغْمُرُ قَلْبَ كَاتِبِ هذِهِ السُّطُوْرِ، وَهُوَ يُقَدِّمُ الجُزْءَ الأَخِيْرَ لِسِلْسِلَةِ قَصَصِ النَّبِيِّينَ لِلأَطْفَالِ وَهُوَ الجُزْءُ الخَاصُّ بِسِيْرَةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ.

وَقَدْ مَدَّ اللهُ عُمُرَ الكَاتِبِ، (وَرَافَقَهُ التَّوفِيقُ) الإلهي، فَأَكْمَلَ هَذِهِ السِّلْسِلَةَ المُبَارَكَةَ ، وَخَتَمَهَا بِخَتْمٍ هُوَ مِسْكُ الخِتام، وَلَوْ عَجَّلَتْ بِهِ مَنِيَّتُه ، وَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُكْمِلَهَا ؛ لَحَمَلَ مَعَهُ حَسْرَةً لَا تَنْتَهِي وَحَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوْبَ مَا قَضَاهَا، وَقَدْ كَانَ الشَّيْءُ الزَّهِيْدُ مِنَ الأَشْغَالِ وَالحَوَادِثِ كَافِيًا لِيَشْغَلَه عَنْ وَضْعِ هَذَا الكِتَابِ، وَإِكْمَالِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ، وَفِي تَارِيخِ التَّالِيفِ وَالكِتَابَةِ وَتَرَاجِم المُؤَلِّفِيْنَ الكِبَارِ نَمَاذِجُ مِنَ السَّلَاسِل الَّتِي لَمْ تُكَمَّل، وَالأَعْمَالِ الَّتِي لَمْ تَتِمَّ .

وَقَدْ تَعَرَّضَ المُؤَلِّفُ نَفْسُهُ (لِمِثْلِ) هَذَا الخَطَرِ، فَقَدْ وَقَعَتْ فَتْرَةُ مُدَّةِ ثَلَاثِيْنَ سَنَةٌ بَيْنَ جُزْءِ قَصَصِ النَّبِيِّين» الَّذِي انْتَهَى إِلَى قِصَّةِ سَيِّدِنَا مُوسَى - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - وَبَيْنَ الجُزْءِ الَّذِي ابْتَدَأَ بِقِصَّةِ سَيِّدِنَا شُعَيْبٍ، وَانْتَهَى إِلَى قِصَّةِ سَيِّدِنَا عِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

وَمَا بِالحَيَاةِ ثِقَةٌ، وَلَيْسَ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلٌ، وَلكِنْ أَدْرَكَهُ اللُّطف الإلهيُّ ،

وَحَالَفَهُ التَّوفِيقُ، فَشَرَعَ فِي وَضْعِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِلأَطْفَالِ عَلَى إِثْرِ انْتِهَائِهِ مِنْ تَأْلِيفِ الجُزْءِ الأَخِيْرِ مِنْ قَصَصِ النَّبِيِّين»، وَذَلِكَ فِي شَوَّالَ سَنَةَ (١٣٩٥هـ)، وَعَكَفَ عَلَى تَأْلِيفِ هَذَا الكِتَابِ حَتَّى انْتَهَى فِي مُدَّةٍ قَرِيْبَةٍ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِتَأْلِيفِ الكِتَابِ الكَبِيْرِ فِي السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ هَذَا الكِتَابُ الصَّغِيْرُ نَوَاةَ هَذَا الكِتاب الكَبِيْرِ وَأَسَاسَهُ، وَوُفِّقَ لِإِتْمَامِهِ فِي غُرَّةِ شَوَّالَ سَنَةَ (١٣٩٦هـ)[1]

وَقَدِ اعْتَمَدْتُ فِي تَأْلِيْفِ هَذَا الكِتَابِ عَلَى تَلْخِيْصِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لابْنِ هِشَام - الَّذِي هُوَ مِنْ أَقْدَم كُتُبِ السِّيْرَةِ المَوْجُوْدَةِ الآنَ مَطْبُوعَةٌ مُتَدَاوَلَةٌ، وَأَكْثَرِهَا تَأْثِيرًا فِي النُّفُوسِ وَالقُلُوبِ مُسْتَئِدًا فِي ذلِكَ إِلَى بَعْضِ المَرَاجِعِ القَدِيمَةِ وَكُتُبِ الصِّحَاحِ - وَلَمْ يَرَ المُؤَلِّفُ ضَرُورَةً إِحَالَةِ القَارِئِ إِلَى هَذِهِ المَرَاجِعْ بِقَيْدِ الصَّفَحَاتِ وَالطَّبَعَاتِ ؛ لأَنَّ الكِتَابَ قَدْ أُلِّفَ لِلصِّغَارِ النَّاهِضِيْنَ لَا لِلْبَاحِثِيْنَ وَالمُحَقِّقِيْنَ - مُقْتَصِرًا عَلَى النُّصُوصِ وَالرِّوَايَاتِ، لَمْ أَمْزِجها بالبُحُوثِ العِلْمِيَّةِ ، وَالتَّعْلِيلاتِ الفَلْسَفِيَّةِ، وَالشَّهَادَاتِ الأَجْنَبِيَّة ؛ لأَنَّ ذلِكَ يَشْغَلُ القَارِئَ عَنِ التَّشَبُّعِ بِرُوحِ السِّيْرَةِ، وَالتَّذَوُّقِ بِجَمَالِهَا ، وَلأَنَّ مَوْضِعَ هَذِهِ المَبَاحِثِ لِلْكِتَابِ الكَبِيْرِ المُوَسَّعِ فِي مَوْضُوعِ السِّيْرَةِ الَّذِي كُتِبَ لِلْمُتوسعِيْنَ فِي الثَّقَافَةِ، المُتَقَدِّمِيْنَ فِي مَدَارِكِهِمُ العَقْلِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ، المُوَاجِهِيْنَ لِلتَّسَاؤُلَاتِ العَصْرِيَّة وَالكَلَامِيَّةِ ، وَالدِّرَاسَاتِ المُقَارِنَةِ .

وَلَمْ أَتَقَيَّدْ فِي هَذَا الكِتَاب بالالْتِزَامَاتِ الَّتِي الْتَزَمْتُهَا فِي الأَجْزَاءِ الأُوْلَى مِنْ قَصَص) النَّبِيِّين لِلأَطْفَالِ مِنْ مُحَاكَاةِ أُسْلُوبِ الأَطْفَالِ وَطَبِيْعَتِهِم ، وَتَكْرَارِ الكَلِمَاتِ وَالجُمَلِ، وَسُهُولَةِ الأَلْفَاظِ ، وَبَسْطِ القِصَّةِ، فَقَدْ شَبَّ هَؤُلَاءِ القُرَّاءُ الصِّغَارُ عَنْ طَوْقِهِم، وَتَقَدَّمُوا فِي ثَقَافَتِهِم اللُّغَوِيَّةِ، وَدَرَجَتِهِمُ العَقْلِيَّةِ ، فَأَصْبَحُوا قَادِرِيْنَ عَلَى إِسَاغَةِ هَذَا الغِذَاءِ العِلْمِيِّ العَقْلِي، وَالتَّذَوُّقِ لِهَذِهِ القِصَّةِ الرَّائِعَةِ لِحَيَاةِ أَكْبَرِ إِنْسَانٍ، وَأَشْرَفِ نَبِيٍّ ﷺ.

(١) أَخْرَجَتْهُ دَارُ الشُّروقِ فِي جُدَّة بِاسْمِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّة»، وَصَدَرَتْ مِنَ القَاهِرَةِ فِي رَبِيْعِ الآخِر سنة (١٣٩٧هـ) (إِبْرِيْل ١٩٧٧م) وَجَاءَ فِي (٤٧٥) صَفْحَةً بِالقَطْعِ الكَبِيْرِ.

وهَكَذَا جَاءَ الكِتَابُ - بِحَوْلِ اللهِ تَعَالى - وَسَطًا بَيْنَ الكُتُبِ الَّتِي أُلِّفَتْ فِي تَعْلِيمِ الْكِبَارِ النَّابِغِيْنَ، وَالكُتُبِ الَّتِي أُلِّفتْ لِلصِّغَارِ النَّاهِضِيْنَ، فَهُوَ جَدِيْرٌ بِأَنْ يَدْرُسَه الصِّغَارُ المُرَاهِقُوْنَ فِي مَدارِسِهِمْ، وَيَقْرَأَهُ الكِبَارُ المُتَوَسِّطُونَ فِي مَكْتَبَاتِهِمْ وَمَنازِلِهِمْ ، وَيُقَدَّمَ كَذَلِكَ إِلَى غَيْرِ المُسْلِمِيْنَ، أَوْ يُنْقَلَ إِلَى لُغَاتٍ أَجْنَبِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَتْ فِيْهِ خُلَاصَةُ السِّيْرَةِ وَلُبَابُهَا ، وَرَوَائِعُ حِكَايَاتِهَا وَأَخْبَارِهَا ، وَتَارِيخُ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الأُوْلَى وَفُتوحُهَا وَانْتِصَارَاتُهَا ، وَعَجَائِبُ التَّرْبِيَةِ النَّبَوِيَّةِ وَمُعْجِزَاتُها ، فَأَصْبَحَ الكِتَابُ مَدْرَسَةً كَامِلَةً يَنْشَأُ فِيْهَا الطَّالِبُ بَيْنَ إِيْمَانٍ وَحَنَانٍ، وَيَتَقَلَّبُ بَيْنَ رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَيَخْرجُ مِنْهَا ، وَقَدْ حَمَلَ مَعَهُ الزَّادَ الَّذِي يُسَايِرُهُ فِي حَيَاتِهِ، وَالنُّوْرَ الَّذِي يَسِيرُ فِي ضَوْئِهِ، وَالسِّلَاحَ الَّذِي يُدافِعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَإِيمَانِهِ، وَالرِّسَالَةَ الَّتِي يَحْمِلُهَا لِلعَالَمِ والأُمَمِ.

وَلَمَّا كَانَ الكِتَابُ قَدْ أُلِّفَ لِتَلَامِيذِ المَدَارِسِ الثَّانَوِيَّةِ وَمَا شَاكَلَهَا ، رَأَى المُؤَلِّفُ ضَرُورَةَ شَرْحِ المُفْرَدَاتِ الغَرِيْبَةِ، وَمَا هِيَ فَوْقَ مُسْتَوَى هَؤُلَاءِ القُرَّاءِ الصِّغَارِ، فَطَلَبَ مِنَ الأُسْتَاذِ نُور عَالَم الأَمِيني النَّدْوِيِّ - وَهُوَ يُمَارِسُ التَّدْرِيْسَ فِي دَارِ العُلُومِ نَدْوَة العُلَمَاءِ، وَيَعْرِفُ مُسْتَوى أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ التَّلَامِيذِ الثَّقَافِيِّ - أَنْ يَتَنَاوَلَهَا بِالشَّرْحِ، وَالإِيْضَاحِ، فَقَامَ بِذلِكَ مَشْكُورًا ، جَزَاهُ اللهُ خَيْراً .

وَأَخِيْراً لَا آخِرًا أَحْمَدُ اللهَ عَلَى هَذَا التَّوْفِيقِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى آلائِهِ وَنِعَمِهِ، وَأَسْأَلُهُ القَبُولَ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ الجِيْلَ الجَدِيدَ، وَالنَّاشِئَةَ المُسْلِمَةَ الَّتِي تُحِيْطُ بِهَا العَوَاصِفُ، وتُفْرَسُ فِي طَرِيقِهَا الأَشْوَاكُ.

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ...

أَبُو الحَسَنِ عَلِيٌّ الحَسَنِيُّ النَّدْوِي

دَارَةُ الشَّيْخِ عَلَمِ اللهِ

رَأَى بِرِيْلي

العَصْرُ الجَاهِلِيُّ

بَعْدَ نَبِيِّ اللَّهِ عِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

طَالَتِ الفَتْرَةُ[1] ، وَسَادَ الظَّلَامُ فِي العَالَم، وَغَابَ النُّورُ وَالعِلْمُ ، وَخَفَتَتِ الأَصْوَاتُ الَّتِي رَفَعَهَا الأَنْبِيَاءُ وَالمُرْسَلُونَ فِي عُصُورِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ النَّقِيِّ وَالدِّينِ الخَالِص ، فِي صَيْحَاتِ الجَهْلِ وَالضَّلَالَةِ ؛ الَّتِي صَاحَ بِهَا المُحْتَرِفُونَ وَالدَّجَّالُونَ، وَانْطَفَاتِ المَصَابِيحُ الَّتِي أَوْقَدَهَا أَنْبِيَاءُ اللهِ وَرُسُلُهُ وَخُلَفَاؤُهُمْ، مِنَ العَواصِفِ الَّتِي هَبَّتْ حِيْناً بَعْدَ حِيْنٍ.

الدِّيَانَاتُ القَدِيمَةُ:

وَأَصْبَحَتِ الدِّيَانَاتُ العُظْمَى - وَفِي آخِرِهَا المَسِيحِيَّةُ السَّمْحَةُ - فَرِيْسَةَ العَابِثِيْنَ وَالمُتَلَاعِبِيْنَ، وَلُعْبَةَ المُحَرِّفِيْنَ وَالمُنَافِقِيْنَ، حَتَّى فَقَدَتْ رُوْحَهَا وَشَكْلَهَا ، فَلَوْ بُعِثَ أَصْحَابُهَا الأَوَّلُونَ وَأَنْبِيَاؤُهَا المُرْسَلُونَ أَنْكَرُوْهَا وَتَجَاهَلُوْهَا.

أَصْبَحَتِ اليَهُودِيَّةُ مَجْمُوعَةً مِنْ طُقُوس[2] وَتَقَالِيْدَ لَا رُوْحَ فِيْهَا وَلَا حَيَاةَ، وَهِيَ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ ذلكَ دِيَانَةٌ سُلَالِيَّةٌ ، لَا تَحْمِلُ لِلْعَالَمِ رِسَالَةٌ، وَلَا لِلأُمَمِ دَعْوَةٌ، وَلَا لِلإِنْسَانِيَّةِ رَحْمَةٌ.

أَمَّا المَسِيحِيَّةُ فَقَدِ امْتُحِنَتْ بِتَحْرِيْفِ الغَالِيْنَ، وَتَأْوِيْلِ الجَاهِلِيْنَ، مُنْذُ عَصْرِهَا الأَوَّلِ،

(١) **الفَتْرَةُ:** الزَّمَنُ الَّذِي لَمْ يُبْعَثْ فيه نَبِيٌّ.
(٢) النظم والطُّرُقُ الدِّينِيَّة

وَأَصْبَحَ كُلُّ ذلِكَ رُكَاماً دُفِنتْ تَحْتَهُ تَعَالِيْمُ المَسِيحَ البَسِيْطَةُ، وَاخْتَفَى نُورُ التَّوْحِيْدِ وَإِخْلَاصُ العِبَادَةِ اللهِ وَرَاءَ هَذِهِ السُّحُب .

أَمَّا المَجُوسُ ؛ فَقَدْ عَكَفُوا عَلَى عِبَادَةِ النَّارِ يَعْبُدُونَهَا ، وَيَبْنُونَ لَهَا هَيَاكِلَ[1] وَمَعَابِدَ. أَمَّا خَارِجَ المَعَابِدِ ؛ فَكَانُوا أَحْرَارًا ، يَسِيرُونَ عَلَى هَوَاهُمْ ، وَمَا تُمْلِي عَلَيْهِمْ نُفُوسُهُمْ ، وَأَصْبَحَ المَجُوسُ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ لَا دِيْنَ لَهُمْ، وَلَا خَلَاقٍ فِي الأَعْمَالِ وَالأَخْلَاقِ.

أَمَّا الْبُوذِيَّةُ - الدِّيَانَةُ المُنتَشِرَةُ فِي الهِنْدِ، وَآسيا الوُسْطَى - فَقَدْ تَحَوَّلَتْ وَثَنِيَّةٌ تَحْمِلُ مَعَهَا الأَصْنَامَ حَيْثُ سَارَتْ، وَتَبْنِي الهَيَاكِلَ، وَتَنْصِبُ تَمَاثِيْلَ «بُوْذَا حَيْثُ حَلَّتْ وَنَزَلَتْ.

أَمَّا البَرْهَمِيَّةُ - دِيْنُ الهِنْدِ الأَصِيْلُ - فَقَدِ امْتَازَتْ بِكَثْرَةِ المَعْبُودَاتِ وَالآلِهَةِ حَتَّى بَلَغَتْ إِلَى المَلَايِيْنِ، وَبِالتَّفَاوُتِ الظَّالِمِ بَيْنَ الطَّبَقَاتِ، وَالامْتِيَازِ بَيْنَ الإِنْسَانِ وَالإِنْسَانِ.

أَمَّا العَرَبُ ؛ فَقَدِ ابْتُلُوا فِي العَصْرِ الأَخِيْرِ بِوَثَنِيَّةٍ سَخِيْفَةٍ لا يُوجَدُ لَهَا نَظِيْرٌ إِلَّا فِي الهِنْدِ البَرْهَمِيَّةِ الوَثَنِيَّةِ، وَتَرَقَّوا فِي الشِّرْكِ، فَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةٌ، وَانْغَمَسَتِ[2] الأُمَّةُ الأُمَّةُ فِي الوَثَنِيَّةِ وَعِبَادَةِ الأَصْنَامِ، بِأَبْشَعِ أَشْكَالِهَا ، فَكَانَ لِكُلِّ قَبِيْلَةٍ أَوْ نَاحِيَةٍ أَوْ مَدِينَةٍ صَنَمٌ خَاصٌ ، بَلْ لِكُلِّ بَيْتٍ صَنَمٌ خُصُوصِيٌّ ، وَكَانَ فِي جَوْفِ الكَعْبَةِ - البَيْتُ الَّذِي بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ لِعِبَادَةِ الله وَحْدَه - وَفِي فِنَائِهَا ثَلَاثُمِئَةٍ وَسِتُّونَ صَنَماً .

الجَزِيرَةُ العَرَبِيَّةُ:

سَاءَتْ أَخْلَاقُ العَرَبِ، فَأُوْلِعُوا بِالخَمْرِ وَالقِمَارِ، وَبَلَغَتْ بِهِمُ القَسَاوَةُ وَالحَمِيَّةُ المَزْعُوْمَةُ إِلَى وَأْدِ البَنَاتِ، وَشَاعَتْ فِيهِمُ الغَارَةُ، وَقَطْعُ الطَّرِيْقِ عَلَى القَوَافِلِ، وَسَقَطَتْ مَنْزِلَةُ المَرْأَةِ، فَكَانَتْ تُوْرَثُ كَمَا يُوْرَثُ المَتَاعُ أَوِ الدَّابَّةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَقْتُلُ أَوْلَادَهُ خَشْيَةَ

(١) **جَمْع:** هَيْكَل وَهُوَ : البِنَاءُ المُرْتَفِعُ ، والمَوْضِعُ الَّذِي يَكُوْنُ فِي صَدْرِ المَعْبَدِ يُقَرَّبُ فِيْهِ القُرْبَانُ.
(٢) غَاصَتْ وَدَخَلَتْ.

الإِنْفَاقِ، وَخَوْفَ الْفَقْرِ وَالإِمْلَاقِ.

وَأُخْرِمُوا بِالحَرْبِ، وَهَانَتْ عَلَيْهِمْ إِرَاقَةُ الدِّمَاءِ، فَتُثِيرُهَا حَادِثَةٌ تَافِهَةٌ، وَتَدُومُ الحَرْبُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَيُقْتَلُ فِيهَا أُلُوْفٌ مِنَ النَّاس.

ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ:

وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ كَانَتِ الإِنْسَانِيَّةُ فِي عَصْرِ البِعْثَةِ فِي طَرِيْقِ الانْتِحَارِ، وَكَانَ الإِنْسَانُ فِي هَذَا القَرْنِ قَدْ نَسِيَ خَالِقَهُ، فَنَسِيَ نَفْسَه ومَصِيْرَهُ، وَفَقَدَ رُشْدَهُ وَقُوَّةَ التَّمْيِيْزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالحَسَنِ والقَبيح ، وَرُبَّمَا كَانَ إقليمٌ وَاسِعٌ لَيْسَ فِيْهِ أَحَدٌ يَهُمُّهُ دِيْنُهُ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ، وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَصَدَقَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ١٤].

لِمَاذَا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ؟

وَقَدِ اخْتَارَ اللهُ العَرَبَ؛ لِيَتَلقَّوا دَعْوَةَ الإِسْلَام، ثُمَّ يُبلِّغُوْهَا إِلَى أَبْعَدِ أَنْحَاءِ العَالَمِ؛ لأَنَّ أَلْوَاحَ قُلُوبِهِمْ كَانَتْ صَافِيَةٌ، لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهَا كِتَابَاتٌ دَقِيْقَةٌ عَمِيْقَةٌ ، يَصْعُبُ مَحْوُهَا وَإِزَالَتُهَا ، شَأنَ الرُّوْم وَالفُرْسِ، وَأَهْلِ الهِنْدِ؛ الَّذِيْنَ كَانُوا يَتِيهُونَ[1] بِعُلُوْمِهِمْ وَآدابِهِمُ الرَّاقِيَةِ ، وَمَدَنِيَّاتِهِمُ الزَّاهِيَةِ[2]، أَمَّا العَرَبُ فَلَمْ تَكُنْ عَلَى أَلْوَاحِ قُلُوبِهِمْ إِلَّا كِتَابَاتٌ بَسِيْطَةٌ خَطَّتْهَا يَدُ الجَهْلِ وَالبَدَاوَةِ، وَمِنَ السَّهْلِ المَبْسُورِ مَحْوُهَا وَغَسْلُهَا، وَرَسْمُ نُقوش جَدِيدَةٍ مَكَانَهَا.

وَكَانُوا عَلَى الفِطْرَةِ، إِذَا الْتَوى عَلَيْهِمْ فَهْمُ الحَقِّ حَارَبُوْهُ ، وَإِذَا انْكَشَفَ الغِطَاءُ عَنْ عُيُونِهِمْ أَحَبُّوْهُ وَاحْتَضَنُوْهُ، وَاسْتَمَاتُوا فِي سَبِيْلِهِ، وَكَانُوا أَصْحَابَ صِدْقٍ وَأَمَانَةٍ وَجَلَادَةٍ

(١) يَتَكَبَّرُونَ.

(٢) النَّضِرَةُ المُشْرِقَةُ.

وَتَقَشُفٍ فِى الحَيَاةِ، وَشَجَاعَةٍ، وَفُرُوسِيَّة.

وَفِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَفِي مَكَّةَ كَانَتِ الكَعْبَةُ ؛ الَّتِى بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ لِيُعْبَدَ فِيهَا اللهُ وَحْدَهُ، وَلِتَكُونَ مَصْدَرَ الدَّعْوَةِ لِلتَّوْحِيدِ إِلَى آخر الأَبَدِ.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آلِ عِمْرَان : ٦٩].